من هنا ومن هناك

أونجين

لعل هذه التحفة النادرة هى أبدع مانظم بوشكين الشاعر الروسى طول حياته ، وقد بدأها سنة ١٨٢٣ وأتمها سنة ١٨٣١ . وهى خيال طريف لقصيدة بيرون بيو Beppo وإن تكن فى صدقها وروعة فنها خيراً من بيو ومن كل مانظم بيرون على الاطلاق . ونلخص اليوم تحفته أونجين التى تبذ كل ما كتب الأدباء الروس فنقول :

« يوجين أونجين أحد أبناء الطبقة المتوسطة من سكان بطرسبرج ، حسن البزة ، منسق الهندام ، عنى أبوه بتربيته تربية رفيعة ، وتوجيهه فى الحياة وجهة خاصة ، إذ وصله بالأستاذ لابيه فتفقه فى الفرنسية حتى ثقفها وأصبح يتكلمها كواحد من أهلها . وكان مشغوفاً فى ملبسه بالطراز الانجليزى من نسق لندن . وأجاد بضع رقصات كان أحبها إليه (المازورقا) ـ وكان متأنقاً فى عبارته ، يتخير اللفظة الرنانة ، ويصقل الحروف صقلا أرستقراطياً يزيد فى فخامتها ، ويضاعف موسيقاها . وطالما كان ينثر فى حديثه أبياتاً من الأناشيد (فرجيل) أو يستشهد بالحكمة اليونانية ، والمثل اللاتينى ، كأنما يريد أن يلفت السامع إلى تبحره فى الأدب ، ورسوخ قدمه فى التاريخ ، وإلمامه بعلوم الأولين ... ... والآخرين ! وفى مشيته ، بل فى طعامه ، بل فى جلسته ، بل فى الإيماءة الصغيرة بطرفه ، كان يتعمل تعملا ملحوظاً ، وكأنما أورثه تعمله هذا رذيلة الاضطغان ، والتبرم بجميع المخلوقات ! ... وكان أبوه رجلا متلافاً مبذراً ، لايكفى دخله المتوسط للمظهر المنتفخ الذى كان يبدو به بين الناس ، وكان لذلك كثير الاستدانة قليل السداد ... يقيم فى داره المراقص والمراقص ... وهو فى إفلاس وضيق ليس وراءهما إفلاس وضيق . فلما مات خلف تركة ثقيلة من الديون الفادحة ، أتت على أخضره ويابسه

واشتد الضيق على أونجين فارتحل إلى عمه فى الريف فوجده قد انتقل إلى الآخرة هو الآخر . وثمة تعرف إلى شاب ألمانى حدَث ، واسع أفق الفكر ، متشعب المعرفة ، درس كانت وشيللر وهجل وأدباء الألمان ، حتى ما يكاد ينطق إلا بكلامهم ولا يفيض إلا عنهم . ويقدمه هذا الشاب (لنسكى) إلى عائلة مجاورة قوامها أرمل وابنتان ، صغراهما أولجا ، فتاة يافعة مشوقة ساحرة اللفتات ، رشيقة الحركات ، علقها لنسكى من كل قلبه ، وشغفه حبها حتى ما يفكر إلا فيها . والكبرى ، تاتيانا ، أقل جمالا من أولجا ، وإن تكن أرجح عقلا ، وأثبت جناناً ، وأكمل أنوثة . ترى أونجين فتحس بزائر جديد يحتل قلبها دون أن يستأذن ، وتشعر بانعطاف إليه يقرب أن يكون ولوعاً . وتكتب إليه بعد أن يكون التعارف قد اشتدت أواصره ، وتعترف له بما تحس نحوه فى أعماقها ، فى أسلوب صارخ ، وعبارة مجلوة منتقاة ، وكلمات تكاد تتوهج وتلتهب . وليس فى أشعار العالم شىء يشبه ما نظمه بوشكين فى رسالة تاتيانا هذه ، بل ليس فى فلسفة الحب صورة هى أروع ولا أصدق مما جاء فى خطابها إلى أونجين . لقد كان قلبها يتكلم ويتضرم ، وكانت نفسها الملتاعة الوامقة تسيل دماً على شباة القلم . ولقد قرأنا درة شللى (أبيبسيكيديون) فى الحب ، ولكنا لم نلمس هذه الروح التى هبطت من وحى بوشكين فى رسالة تاتيانا ، ولم نلمح هذا القبس المقدس الذى أججه بوشكين العظيم فى شعره العظيم . . .

ويرد أونجين على هذه الرسالة العلوية بخطاب فاتر بارد فيدعى فيه أنه لم يخلق للحب ، ولا يفكر فى الزواج . وأنه غير جدير بها ، لأنه لم يشعر نحوها إلا بما يشعر به الأخ نحو أخته .

وإنهم جميعاً لفى مرقص ، فتدعو أولجا الصديق أونجين إلى رقصة اختارتها ، فينهض ملبياً طلبها ، وما تنتهى الموسيقى إلا وقد جن جنون لنسكى من الغيرة ، فينهض إلى أونجين وينتهره ، ويتحداه تحدياً يهيجه ، فتكون بينهما مبارزة هائلة يقتل فيها لنسكى — وتسود الدنيا فى عينى أونجين ، فيرحل عن هذا البلد ويتنقل فى أطراف البلاد . . وتنتقل الأرمل بابنتيها إلى العاصمة

حيث يفتتن أحد أغنيائها بتاتيانا ، فيخطبها إلى أمها ، وسرعان ما يصبحان زوجين سعيدين

ويلتقي بها أونجين فجأة في إحدى حدائق بطرسبرج ، فتثور في نفسه الذكريات القديمة ، ويهيج به ميله الماضي ، فيبثها حبه ولكن . . ولكن . . الفتاة تدمع قليلا . ثم تصارح الفتى قائلة :

« أونجين ! لقد أحببتك من صميمي ، ولكنك استكبرت ورفضت حبي ... وهأنا الآن زوجة ... وعلي واجبات ... ولزوجي شرف ، وله كرامة ... وهو يحبه لي خير منك بعبثك عليّ ... أونجين ... وداعاً ! »

هذا ملخص مقتضب لهذه القصة الرائعة التي يخطىء مؤرخو الآداب فيقرنونها بدون جوان لبيرون

في راسين (١٦٣٩ — ١٦٩٩)

يعتز الفرنسيون براسين اعتزاز الانجليز بشاكسبير. ولكل من راسين وشاكسبير ميزة يفضل بها أخاه ، فراسين يحكم العقل في العاطفة ويسخرها له وبعكسه شاكسبير الذي يجعل العاطفة مسيطرة على العقل سيطرة تامة ويترك لها القياد فوق المسرح فتنتقل بالنظارة في آفاق شعرية جميلة صاخبة لاوجود لها في عالم الحقيقة . ولا يدري أحد أيهما يفضل أخاه ولا يستطيع أحد أن يحكم لأحدهما على الآخر .

والذي يلفت النظر في فن راسين أنه مشيد على دعائم يونانية من فن سوفوكليس ويوريبيدز في حين تفيض فيه روح مسيحية عليها طابع قوي من جماعة الـ (Jansenists) (أو الطهريين الفرنسيين) ثم يزين ذلك كله رواء من أبهة لويس الرابع عشر وفخامته .

ولكن يوريبيدز أقوى أثراً في راسين من كل شيء آخر . ولا غرو ، فقد كان راسين يسير على درب الأديب اليوناني الكبير ويمشي على منهاجه فلا يحيد قيد أنملة ، اللهم إلا فيما يجعل دراماته ملائمة لعصر لويس العظيم . ففي (أندروماك) و (إفجنيا) و (فيدر) تلمس روح يوريبيدز في الأديب الفرنسي ونكاد نعقد المقارنة بينهما ، وإن كان راسين قد لون فن أستاذه بمثل الألوان التي كان رافائيل يضفيها على صور لداته فيخلقها خلقاً آخر .

٨٠٢٣

وليس شك في أن (أندروماك) هي خير درامات راسين جميعا . ولا نبالغ إذا قلنا إن أية درامة أخرى لم تجمع أشخاصاً ذوي عواطف شتى وأحاسيس متناقضة كما جمعت أندروماك . ولا نستطيع أن نعلل الأسباب التي إليها يرجع عدم نجاح هذه الدرامة العنيفة على المسرح المصري ، إلا أنها قطعة كلاسيكية لم يعتدها الذوق المصري بعد . وهذا ما يؤسف له ! وإذا كانت أندروماك قد جمعت كل هذه الشخصيات المتناقضة فبعكسها (فيدر) التي ازدحمت في قلب بطلتها متناقضات من عواطف غريبة ما برحت تتنقل وترتفع وتنخفض وتخبو وتشتعل حتى ختام المأساة . فقد أحبت فيدر ابن زوجها حبا شهوانيا اختلط بلحمها وخامر قلبها ، ثم جعلت تتلطف إليه ، ثم أعلنت إليه أنها تحبه ، وطفقت تراوده ، ولكن الفتى أبى أن يخون أباه أو يغمس شرفه في الوحل ، فتضرعت إليه ، وانقلبت الضراعة فأصبحت مذلة وهواناً ، فلما اشتط الفتى في تمنعه انقلبت المذلة فصارت حقدا وغيظا ، ثم اضطرم الغيظ فصار شرا تضمره فيدر ويمزق فؤادها . . . ثم اتهمت الفتى لدى أبيه أنه يراودها عن نفسها . . . فوقعت المأساة ! فأنت ترى - إن كنت قد قرأت أندروماك أو شهدتها على المسرح - أن العواطف المتناقضة التي توزعت على أبطال أندروماك قد اكتظت كلها في نفس فيدر ؛ وهذا عمل فني خالد لم يتح لكاتب مثل راسين .

كذلك قد قلد راسين الشاعر الكوميدي اليوناني أرسطوفان في ملهاته (Les Plaideurs) التي احتذى فيها الكوميدية اليونانية (الزنابير !) (The Wasp) والتي أضحكت لويس الرابع عشر حتى ذهبت بوقاره المعروف عنه !

معهد التناسليات

معهد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس هيرشفلد فرع القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ شارع المدابغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والامراض والشذوذ التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب والشيخوخة المبكرة ويعالج بصفة خاصة سرعة القذف طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ و من ٤-٦ .. ملاحظة : يمكن اعطاء نصائح بالمراسلة للمقيمين بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيبوا على مجموعة الأسئلة البيكولوجية المحررة على ١٤١ سؤالا التي يمكن الحصول عليها نظير ٥ قروش